# الفصل السادس

# خطاب التمني وخطاب الطلب بصيغة الخبر

# الفصل السادس

# خطاب التمني وخطاب الطلب بصيغة الخبر

## 1- خطاب التمني في الحديث الشريف

أسلوب التمني من الأساليب ذات الوقع والتأثير، لأنه يشف عن رغائب النفوس ومشتهياتها، ويلمح في مواقعه ظمأ الى شيء لا يروى او يستبعد ريه، انه عالم الأحلام تنزع اليه النفس البشرية حين تفوق طموحاتها واقعها المحدود، فتجد في رحابه متكأً آمناً تصوغ فيه أحلامها الحبيسة أمنيات هفهافة وورود رفافة وعبقاً من عالم الشعور والوجدان مضمخاً بالرؤى الهامسة.

والتمني في عالم النبوة له معنى آخر يضاف الى ما ذكر، انه يقصد الى إشراك المخاطب في حديث الروح بهدف توجيهه وإحداث التأثير في فكره وإحساسه، ومن ثم تجسيد هذا التأثير عملاً محسوساً، وسلوكاً قويماً يسمو بالفرد والجماعة الى مستوى الإنسانية التي اعزها الله تعالى وكرمها وفضلها على كثير من خلقه.

## التمني في اللغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب: " التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون. قال ابن الأثير: " التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه. وقيل: تمنيت الشيء أي قدرته وأحببت إن يصير الي، من المنَىَ وهو القَدَر " [1].

والتمني في إصلاح البلاغيين: هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة[2]. وعرفه العلوي بأنه عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل[3] .

والتمني عند البلاغيين نوع من الإنشاء الطلبي، والفرق بينه وبين أنواع الطلب الأخرى ان " هذه الأنواع تتعلق باللسان والتمني شيء يهجس في القلب يقدره المتمني" [1] .

---

(1) اللسان (منى): 20/163-164 .
(2) شروخ التلخيص: 238/2 ؛ الإتقان: 82/2 ؛ عقود الجمان: 171/1 .
(3) الطراز: 291/3 .

والتمني مما لا يتوقع حصوله لأحد أمرين: اما لكونه مستحيلاً كقوله تعـــالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [2].

ويفرق البلاغيون بينه وبين الترجي من حيث ان التمني يدخل في المستحيلات والترجي لا يكون الا في الممكنات[3] .

والترجي عند البلاغيين ليس من الإنشاء الطلبي لأنه قد يأتي في المكروه نحو: لعل والدي مريض. والمكروه لا طلب فيه، وانما الذي فيه هو مجرد ترقب حصول الشيء[4] .

او هو كما عرفه السيوطي: " ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، ويدخل في الارتقاب الطمع والإشفاق، فالطمع ارتقاب المحبوب، نحو: لعلك تعطينا. والإشفاق ارتقاب المكروه، نحو: لعلي أموت الساعة " [5] .

## خطاب التمني في الحديث الشريف

افرد البخاري في صحيحه كتاباً خاصاً سماه (كتاب التمني) [6]، ولكن عند الاستقراء والتدبر تبين لنا ان استعمال رسول الله ﷺ لهذا الأسلوب قليل مقارنة بأساليب الطلب الأخرى، وربما كان ذلك اقتداءً بالقرآن الكريم، إذ يقل استعمال هذا الأسلوب فيه أيضاً، فقد وردت (ليت) فيه أربع عشرة مرة فقط[7]، ويعلل احد الباحثين ذلك، بقوله: " ان ليس التمني بمفيد لمن خالف تعاليم ربه لأن من أطاع ربه وتمسك بحبله المتين، واستوثق العروة الوثقى تتحقق أمانيه " [8] .

وربما شغل الرسول ﷺ واقع الحياة الإسلامية الجديدة وآثر المسلمين عن حاجات نفسه وما تتمناه إلا ما تعلق بأمور الدين والأمة، فلا غرابة إذن ان نجد هذا الأسلوب اقل الأساليب استعمالاً في الحديث الشريف أيضاً.

---

(1) شرح المفصل: 11/9 .
(2) القصص / 79 .
(3) معجم المصطلحات البلاغية: 353/2 نقلاً عن البرهان في علوم القرآن: 323/2 .
(4) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 278 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 235 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها: 156 .
(5) عقود الجمان: 170/1 .
(6) ينظر فتح الباري: 269/13-285 . وكان البخاري قد قسم صحيحه الى سبعة وتسعين كتاباً .
(7) الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، هادي عطية مطر: 101 .
(8) نفسه .

أدوات التمني وبلاغتها

الأداة الموضوعة أصلاً للتمني (ليت) [1]، ومعناها تمنيت[2]، ويكون التمني بها بها حقيقياً، وقد يأتي التمني بأدوات أخرى غير ليت ويسمى في هذه الحالة بالتمني البلاغي كما يطلق عليه احد الباحثين[3]. وهذه الأدوات هي: هل ولو ولعل.

## التمني بـ ( ليت )

لم ترد (ليت) في صحيح البخاري إلا ثلاث مرات وفيما يأتي الأحاديث الشريفة التي وردت فيها:

عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: " أرِقَ النبيُّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال:

ليتَ رجلاً صالحاً من أصحابي يَحرُسُني الليلةَ، إذ سمعنا صوتَ السلاح، قال: من هذا؟ قال: سعدٌ[4] يا رسولَ الله جئتُ أُحرُسُكَ، فنام النبيُّ ﷺ حتى سمعنا غطيطه[5] غطيطه[5] "[6].

وقال ﷺ: " لا تقومُ الساعةُ حتى يَمرَّ الرجلُ بقبر الرجل فيقولُ: يا ليتني مكانه " [7].

وقال ﷺ أيضاً:

" لا حَسَدَ[8] إلا في اثنتين: رجل علّمه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليل وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له فقالَ: ليتَني أُوتيتُ مثلما أُوتِيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل. ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُتِيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل " [9].

ان تمني الرسول ﷺ في الحديث الأول، في ان يحرسه احد ليس بالأمر المستحيل الذي لا يمكن تحققه، ولكن رغبة الرسول الشديدة في ان يحرسه احد في تلك الليلة، وإحساسه بصعوبة مجيء احد من الصحابة في ذلك الوقت المتأخر من

---

(1) الإيضاح: 131/1
(2) أسرار العربية، الانباري: 148 .
(3) البلاغة الاصطلاحية: 182 .
(4) هو الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ .
(5) الغطيط: الصوت الذي يخرج مع نفس النائم . اللسان (غطط): 237/9 .
(6) فتح الباري: 271/13 .
(7) نفسه: 93/13 .
(8) المقصود بالحسد هنا الغبطة . وأطلق الحسد عليها مجازاً، مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين . شرح الكرماني: 42/2 ؛ فتح الباري: 221/1 ؛ 90/9 .
(9) فتح الباري: 90/9 .

الليل بدليل قول عائشة ﷺ: (ارق النبي) والأرق يعني انه بقي مستيقظاً لفترة ليست بالقليلة من الليل، ثم قولها بعد ذلك (حتى سمعنا غطيطه)، والغطيط يكون غالباً في النوم العميق بعد سهر وتعب، أقول لأجل تلك الحالة وذلك الظرف فقد أحس الرسول ﷺ باستبعاد تحقق طلبه وعدم إمكان وقوعه فمال الى استعمال (ليت) الموضوعة لهذا الغرض. فالبعد في أداة التمني هنا ربما لا يكون بعداً بالنسبة للواقع او العرف او العقل، وانما هو بعد من حيث إحساس النفس به، فقد يغلب على النفس الإحساس باليأس فتستبعد القريب، كما ان شدة الرغبة في تحقق المتمنى توهم انه مستبعد. ولذلك جاء أسلوب الطلب بصيغة التمني في الحديث الشريف معبراً عن حالة نفسية كانت مسيطرة على الرسول الكريم ﷺ آنذاك تمتزج فيها مشاعر الرغبة والترقب والقلق واليأس، وربما لم يتأتى لأسلوب آخر او صيغة أخرى غير التمني كشف هذه المعاني الخفية.

اما الحديث الثاني، فهو طلب غير محبوب خلافاً للأصل، وهو تمني الأمر المحبوب، ويستبعد فيه تحقق الطلب لأنه لا يمكن للحي ان يكون مكان الميت، ولكن فيه إشارة الى سوء الحال وشدة الأمر التي يعانيها الإنسان، فيتمنى الموت بسبب ذلك، ولولا ما هو فيه من انفعال النفس لتلاشى تمنيه او خف عند مشاهدة القبر والمقبور، لإحساسه بوحشة المقام. ويترسخ إحساس المتلقي بضيق هذا الإنسان اليائس عندما يقف في الحديث على اللهفة المكروبة وراء قوله (يا ليتني)، وكيف هيأ لهذه الصرخة الملتهبة بهذا الصوت المنبه واللافت بقوله (يا) وهي أداة تفيد النداء البعيد، ويراد بها التنبيه أيضاً.

وهكذا نجد ان التمني في الحديث مشفوعاً بالنداء لا يراد بهما حقيقة الطلب، وانما قصد بوساطتهما تجسيد حال الإنسان الذي عناه الرسول ﷺ وإشاعة روح الإشفاق والإصلاح في نفس المتلقي، لينأى بنفسه وبمجتمعه عن هذا المصير.

اما التمني، في الحديث الثالث، فهو ليس مستحيلاً، وانما هو في اطار الممكن وعليه يمكن عده ترجيا، وتستعمل له الأداة (لعل) او (عسى)، ولكن شدة حرص الجار وتلهفه ورغبته في ان يكون عاجلاً مثل هذا الذي يتلو القرآن آناء الليل وآناء النهار، في التمني الأول، وشدة رغبة الآخر في ان يملك الأموال سريعاً لينفقها في وجوه الخير كما يفعل صاحبه، في التمني الثاني، جعل المتمني يعتقد ان طلبه في حكم البعيد الذي لا يطمع في تحقيقه، وغلب على نفسه الإحساس بأن هذين العملين (التلاوة والانفاق) في حكم المحال، لذلك اختار التمني بـ (ليت) التي تعبر عن آمال حبيسه ورغبات مكبوتة يصعب تحقيقها، ولو كانت ممكنة فإنها في حسه ووجدانه لا سبيل الى تحقيقها، هذا فضلاً عما تفيده ليت من دلالة التوكيد[1].

(1) ينظر الإتقان: 175/1 ؛ إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج: 606/2 .

وقد يتحقق معنى التمني بغير أداته الأصلية (ليت) فستعمل له أدوات أخرى هي: لو وهل.

## التمني بـ( لو ):

ووجه استعمالها في المتمنّى انها في الأصل تدخل على الممنوع والمحال، والمحال هو المتمنى كثيراً [1] .

ويذكر الدسوقي ان الدافع للعدول عن التمني بـ(ليت) الى التمني بـ(لو) هو الإشعار بعزة متمناه، اذ أبرزه في صورة ما لم يوجد، لأن (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع " [2].

فالتمني بـ(لو) يزيد المتمني بعداً، ويبرز شعوراً باللهفة واليأس من تحققه، وتأكيد استحالته او صعوبته. ومن أمثلة استعمال هذه الأداة في معنى التمني في الحديث الشريف قوله ﷺ:

" لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذَهباً ما يسرّني ان لا تمُرَّ عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئاً ارصُدُهُ لِدَين " [3] .

" نِعْمَ الرّجُلُ عبدُ اللهِ لو كان يصلّي منَ الليلِ " [4].

" تُفْتَحُ اليَمنُ، فيأتي قومٌ يُبِسُّونَ، فَيتَحمَّلونَ بأهلهم ومَنْ أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون. وتُفْتَحُ الشامُ، فيأتي قومٌ يُبِسّون، فَيتَحَّملونَ بأهلِهم ومَنْ أَطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون. وتُفْتَحُ العِراقُ، فيأتي قومٌ يبِسّون، فيتحمَّلون بأهلهم ومَنْ أطاعهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون " [5][6][7] .

فالرسول الكريم ﷺ يتمنى، في الحديث الأول، ان يكون عنده مثل جبل احد ذهباً فلا يمكث عنده منه دينار فوق ثلاث ليال.

إن العدول عن (ليت) الى (لو) في هذا الحديث هو الإشعار بعزة المتمنى حتى أبرزه في صورة ما لم يوجد، فالتمني بـ(لو) يبعد المتمنى أكثر مما تبعده (ليت) وفيه التأكيد على استحالة المتمنى او صعوبته، لأنه لا يمكن ان يمتلك بشر بقدر جبل احد ذهباً وبخاصة في مثل زمن النبي ﷺ ومكانه، لكن الرسول الكريم أومأ بأسلوب التمني

---

(1) عقود الجمان: 171/1 .
(2) حاشية الدسوقي على شرح السعد – شروح التلخيص: 241/2 .
(3) فتح الباري: 318/11 .
(4) نفسه: 50/3 .
(5) البس: ضرب من زجر الإبل، وهو من كلام أهل اليمن، وقيل يبسون أي يسيحون في الأرض، وقيل البس السير الرقيق اللين . اللسان (بسس): 325/7 .
(6) فتح الباري: 111/4 .
(7) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 759/6 ؛ 328/10 .

موجهاً الى معنى القناعة والحث على الإنفاق في سبيل الله ورسوله وعدم اكتناز الأموال.

أما في الحديث الثاني، فقد مدح رسول الله عبد الله بن عمر ﷺ بعبارة (نعم الرجل) متمنياً ان يتم فضله بقيام الليل، وذلك لأن شدة رغبة الرسول الكريم في وقوع الصلاة ليلاً، وهي من الأعمال التي تتطلب مواظبة وإرادة قوية وإيماناً يغالب السهر والنصب، كل ذلك كان في إحساس الرسول ﷺ، فأخرج كلامه مخرج التمني معبراً عن الرغبة النفسية الكامنة في القلب تنطلق لتحض عبد الله ﷺ على قيام الليل، ولا ينحصر ذلك في شخص عبد الله، بل يسري الى كل من يتأدب بأدب الإسلام.

أما في الحديث الثالث، فقد أراد رسول الله إن هؤلاء النازحين من المدينة ليتهم كانوا من أهل العلم – تغليظاً وتشديداً – ليعلموا فضل الإقامة في المدينة وما فيها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها من المدن.

والتمني في هذا المقام بـ(لو) يفيد استبعاد المتمنى أكثر مما تفيده (ليت) فالشيء المتمنى – وهو حصول العلم لهؤلاء الأقوام – ازداد إيغالاً في البعد، وازداد استحالة في التحقق، وذلك لأنه ﷺ يعلم انهم ممن ركن الى الدنيا وطلب المقام الزائل وأعرض عن الإقامة في جوار رسول الله ﷺ، فجرفهم تيار الهجرة، وعليه فإن الحرف (لو) أدل على تصوير هذه الدلالة من أية أداة أخرى.

كما ان تكرار الجملة (لو كانوا يعلمون) خلق جانباً إبداعياً في الأداء، عمل على تعميق البعد الدلالي لأداة التمني، مما اثر في استدامة المعنى في الحديث كله، من اجل تأكيده وتقريره في النفوس. فهذا التمني المتكرر يعبر عن أسف الرسول الكريم وانفعاله وهو يحكي ما سيحدث بعده من هجرة أقوام الى البلاد التي ستفتح، ويعبر عن رغبته الشديدة في إن يعلم هؤلاء النازحون أن المكوث في المدينة أولى لهم.

## التمني بـ ( هل )

تستعمل (هل) في معنى التمني في الموضع الذي يعلم فيه فقد الشيء، يقول القزويني في قوله تعالى حكاية عن الكفار (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا؟) [1] " فقول القائل: هل لي من شفيع؟ في مكان يعلم انه لا شفيع له فيه لإبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه " [2].

(1) الأعراف / 53 .

(2) الإيضاح: 131/1 ؛ شروح التلخيص: 240/2 ؛ وينظر، الإتقان: 82/2 ؛ البرهان: 321/2 .

وقد وردت (هل) في الصحيح مرة واحدة في معنى التمني، فيما أرى، وذلك فيما حدثنا به أسامة ﷺ قال: اشرف النبي ﷺ على أُطُمٍ[1] من آطامِ المدينة، فقال: " هل ترونَ ما أرى؟ إني لأرى مواقعَ الفِتَنِ خِلالَ بُيوتِكم كمَواقِعِ القَطْرِ " [2].

ان استعمال (هل) في هذا الموضع يحمل دلالة التمني، متآزرة مع دلالة النفي، أي ليتكم – وهذا لا يحصل – ترون ما أرى من كثرة وقوع الفتن في نواحي بيوتكم، لتحذروا منها ولا تخوضوا فيها.

والرؤية المذكورة يحتمل ان تكون بمعنى العلم او رؤية العين بأن تكون الفتن مثلت له حتى رآها، كما ذكر ذلك شارح الحديث[3]، وفي كلا الاحتمالين لا يمكن ان يرى الناس ذلك.

ان البلاغة في استعمال (هل) هي إبراز الأمر المستحيل او الذي يبعد تحققه في صورة المستفهم عنه الممكن الوقوع، لإظهار العناية به والرغبة في وقوعه. ورسول الله ﷺ يعلم يقيناً انه لا يمكن ان يرى الناس ما يراه هو، لأن ذلك من علامات النبوة، ولكنه استعمل (هل) ليلبس الأمل المحال ثوب الممكن الذي يحمل بين طياته الجواب المنتظر المحقق هذا الأمل.

أما (لعل) فلم ترد بمعنى التمني في الحديث الشريف.

## هلاّ ولولا

وقد الحق بعض البلاغيين الحروف الأربعة (هلاّ وألاّ ولولا ولوما) بالحرفين (هل ولو) المستعملتين للتمني، دخل عليهما الحرفان (لا وما).

قال السكاكي في معرض ذكره (لو) واستعمالها للتمني: " وكأن حروف التنديم والتحضيض وهي (هلاّ) و (ألاّ) بقلب الهاء همزة، و (لولا) و (لوما) مأخوذة منهما مركبتين مع (لا) و (ما) المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو: هلاّ أكرمت زيداً. وفي المضارع التحضيض نحو هلاّ تقوم " [4].

ويعلق السيوطي قائلاً: " والتنديم أي حمل المخاطب على الندامة، لأنها تفيد حينئذ ندامة المخاطب على عدم فعله في الزمان الماضي، ليفيد التحضيض أي إغراء المخاطب وتحريضه على الفعل في فعل مستقبل انما يعبر بالمضارع كأصله لأن المضارع إذا وقع بعد هذه الأحرف احتمل المضي والاستقبال[5].

---

(1) الأطم: بناء مرتفع . النهاية: 54/1 .
(2) فتح الباري: 117/4 .
(3) نفسه . وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي اخبر عنها ﷺ انها ستقع بعده، وقد وقعت .
(4) مفتاح العلوم: 147-148 ؛ وينظر الإيضاح: 131/1 ؛ شروح التلخيص: 242/2-244 .
(5) عقود الجمان: 173/1 ؛ وينظر شروح التلخيص: 245/2 .

وقد وردت الأداتان (هلاّ ولولا) في الحديث الشريف لتفيد معنى التنديم واللوم متصلة بالفعل الماضي، سواء كان مذكوراً أم مقدراً. وهذه نماذج من تلك الأحاديث الشريفة:

عن ابن عباس ﷺ قال: " وَجَدَ النبيُّ ﷺ شاةً ميتةً 000 فقال:
" هَلاّ انتفَعتم بجلدِها؟ ... " [1] .

وقال ﷺ لجابر بن عبد الله ﷺ عندما علم انه تزوج ثيباً فقال له:
" ... هَلاّ جاريةً تلاعبُها وتُلاعِبُك؟ [2] " [3].

وقال ﷺ لمعاذ ﷺ:
" يا مُعاذُ، أفتّانٌ أنت؟ (ثلاث مرات) فلولا صلّيتَ بسبّحِ اسم رَبِّكَ والشمسِ وَضُحاها والليلِ إذا يَغشى، فأنه يُصلِّي وراءَكَ الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجة " [4].

وقال:
" مَثَلي ومَثلُ الأنبياء كرجلٍ بَنَى داراً فأكمَلَها وأحسَنَها، إلاّ مَوضِعَ لَبِنةٍ، فَجَعلَ الناسُ يَدخُلونها ويتَعَجّبون ويقولون: لَولا مَوضِعُ اللَّبِنة[5] "[6].

ففي الحديثين الأولين أفادت (هلاّ) التنديم في عرف أصحاب المعاني والنحو. فليس الغرض من التركيب إذاً التمني فقط بل معانٍ أخرى تتولد بوساطته وتستشف من السياق منها جعل المخاطب نادماً على ما فاته من فعل كان ينبغي إن يفعله، لما فيه من الحكمة المقتضية للفعل وتعليم الآخرين، وحثهم على العمل بمضمون الحديث، إذ إنّ من معاني (هلاّ ولولا) الحض والحث، وهذا ما ذكره الجرجاني في سياق حديثه عن (لولا) التي تعمل عمل (هلاّ) فقال: " قولك (لولا فعلت كذا) فكأنك قلت له: افعل كذا، غير انك قصدت أن لا تأتي بمجرد الأمر فجنحت الى جانب الحض والتحضيض " [7] .

إن اختيار هذه الأداة والعدول عن صيغة التمني المباشر. خلق صورة فنية متميزة، وضعت قبالة المخاطب تتفيأ في ضلالها دلالات اللوم والتنبيه والترغيب فضلاً عن التمني، فهي بلا شك أكثر إثارة لذهنه، وأمضى أثراً في نفسه.

وما قيل في (هلاّ) آنفا يقال في (لولا) التي جاءت في الحديث الثالث والرابع، حاملة بمساعدة القرائن وسياق الكلام معنى التنديم واللوم، فقد وردت في الحديث

---

(1) فتح الباري: 453/3 .
(2) نفسه: 151/9 .
(3) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 275/5 .
(4) نفسه: 255/2 .
(5) نفسه: 693/6 .
(6) ينظر هذا المعنى أيضاً في فتح الباري: 539/3 .
(7) المقتصد في شرح الإيضاح: 86/1 .

الثالث تلوم معاذاً على قراءته السور الطوال في الصلاة مما يثقل على الكبير والضعيف، وتحضه على قراءة السور القصار تخفيفاً عن المصلين، وفي هذا توجيه وإرشاد لعامة المسلمين.

ووردت (لولا) في الحديث الرابع في سياق صورة تشبيهية تواشجت معها لرسم لوحة نابضة بالحياة تعبر بفنية واقتدار عن معنى الرسالة الإسلامية وجوهر الدين، ذلك إن الدين الإسلامي جاء متمماً للأديان السماوية السابقة وليس نقيضاً لها، وأهميته جاءت من سد ثغرة كانت كأنها عيب بين في الدار ينتقص من حسنها، ولابد لإتمام الحسن والكمال من إصلاح الخلل.

وهكذا تتجلى البلاغة النبوية في تجسيد المعاني الإسلامية، وتقريب الأفكار والأغراض ليحسن وقعها في إفهام المتلقين، ووجدانهم وخيالهم، فيزدادوا بها إعجاباً وقناعة ويعملوا على هديها القويم.

مما تقدم تبين أن الأداتين (هلاّ ولولا) تفيدان معنى الطلب والحث على العمل فضلاً عن التنديم واللوم، بغض النظر عن دخولهما على الفعل الماضي او المضارع كما ذهب النحاة وتبعهم البلاغيون، وان الذي يحدد دلالتهما هو سياق النص وقرائن الأحوال، وهذا من ثمار علم المعاني الذي يعنى بالكشف عن المعنى ومعنى المعنى.

التمني بالفعل (ود)

وقد يفيد لفظ الفعل (ود) معنى التمني. قال الراغب[1]: " قد يتضمن التمني معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، والود هو محبة الشيء وتمني كونه " ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [2] بمعنى تمنت.

وقد استعمل الرسول ﷺ الفعل (وددت) في مقام التمني في حديثين هما:

" والذي نفسي بيدهِ، لَوَدِدْتُ أني أُقتَلُ في سبيل اللهِ ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتلُ ثم أُحيا، ثم أُقتل " [3].

" يرحَمُ اللهُ موسى، لَودِدْنا لو صَبَر حتى يُقَصُّ علينا مِن أمرهِما " [4].

لقد تمنى رسول الله بالفعل (وددت)، في الحديث الأول، ان يقتل في سبيل الله ثم يحيا (ثلاث مرات) ثم يقتل بعدئذ ليظفر ويفوز بالجنة، وهذا التمني من نوع طلب المستحيل، لأن الرسول ﷺ يعلم انه لا يمكن ان يقتل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن: 553 .
(2) آل عمران / 69 .
(3) فتح الباري: 19/6 .
(4) في حديث طويل يحكي قصة موسى مع (الخضر) عليهما السلام المذكورة في سورة الكهف . ينظر فتح الباري: 291/1 .

﴿يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [1]، ولكن الرسول عمد الى التمني هنا ليؤدي به معنى ثانياً ويعمق دلالة يفيدها السياق، وهي تسلية الخارجين في الجهاد، وإذكاء حماس المخاطبين وترغيبهم في المشاركة، وكأنه قال: الوجه الذي يسير له المجاهدون فيه من الفضل ما أتمنى لأجله ان اقتل مرات، نعم، يكفي الشهيد فضلاً ان يكون حياً عند ربه وتكون الجنة مثوى أبدياً له.

وورد الفعل (ود) مقترناً بـ(لو) [2] ويفيد التمني أيضاً، في الحديث الثاني، فقد استحضر رسول الله من خلال التعبير (لوددنا لو) معنى التمني، إذ تمنى ان يكون النبي موسى عليه السلام قد صبر على فعل الرجل الصالح (الخضر) عندما صحبه، ليتبين أمره ويقصه على الملأ، ولكن الصبر لم يتحقق في حينه، وانقضى زمنه فصار طلبه من قبيل تمني المستحيل.

ولم تقف دلالة التعبير عند حد التمني حسب، وانما يلمح المتلقي دلالة ابعد هي الحث على الصبر، فإنه ينبئ بالحكمة والموعظة الحسنة.

هكذا رأينا أن كل جملة من جمل التمني تتميز بمعنى معين بحسب الأداة التي تتصدرها، والأداة هي الحالة التعبيرية لأول ومضة في فكر المتكلم حين ينطق بالجملة.

كما إن اختيار أداة والعدول عن أخرى يفصح عن أن لكل أداة دلالة تعبيرية تفتقر اليها الأخرى، وهذه الدلالة تكشف عنها بنية السياق.

## 2- خطاب الطلب بصيغة الخبر

النكت البلاغية في دلالة الخبر على الطلب

إن الأسلوب الطلبي كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبري فيذكر احدهما في موضع الآخر، فيخرج الطلب مخرج الخبر، ولكن لا يراد به، ما يراد بالخبر من مرام وأغراض كإفادة المخاطب بمضمون الخبر، او لازم الفائدة، او أغراض مجازية يخرج اليها الخبر مما ذكرها البلاغيون في مباحثهم[3]، وانما يراد به دلالته الإنشائية الطلبية مما ذكرناه في البحث. ويقع هذا التبادل بالأساليب لأسباب قائمة في المتكلم وذهنه، ونكت أسلوبية يستدعيها الموقف والحال، وقد أشار اليها

(1) لمائدة / 67 .

(2) تحمل (لو) هنا على معنى المصدرية، يقول ابن هشام: " ولا تقع (لو) المصدرية غالباً إلا بعد مفهم تمن نحو (ود او يود) . مغني اللبيب: 265/1، وينظر، معاني القرآن للفراء: 175/1 ؛ شرح ألفية ابن مالك، لأبن الناظم: 709 .

(3) ينظر: مفتاح العلوم: 79 وما بعدها ؛ الإيضاح: 17/1-21 ؛ التلخيص 40-43 .

السكاكي في قوله: " ولا يصار الى ذلك – يعني إخراج الطلب مخرج الخبر – إلا لتوخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع الى دربة في نوعنا هذا " [1] .

وقد أشار العلوي الى جانب من هذه النكت في قوله: " قد ترد صيغة الخبر والمقصود بها الإنشاء اما لطلب الفعل واما لإظهار الحرص على وقوعه " [2]، ويرى في هذا الاستعمال مبالغة لأنه يوحي بالدوام والاستمرار بخلاف عكسه، وهو استعمال الإنشاء بمعنى الخبر، فليس فيه مبالغة، وانما يرد على جهة الندرة[3] .

ومن النكت الأخرى التي يضيفها البلاغيون [4] في دلالة الخبر على الطلب:

1. التفاؤل بالوقوع، فالطالب إذا زاد حرصه على تحصيل ما يطلب، ربما يخيل اليه غير الحاصل حاصلاً على جهة التفاؤل، كما يقال في الدعاء: (غفر الله لك) باستعمال لفظ الماضي تفاؤلاً على انه حاصل فاخبر عنه، فهو ابلغ من (ربي اغفر له).
2. الاحتراز عن صيغة الأمر تأدباً مع المخاطب واحتراماً له، كقول القائل: ينظر مولاي في أمري، بدلاً من: انظر في أمري.
3. حمل المخاطب على تحقيق المطلوب بألطف وجه، كما في قولنا أنت تزورنا غداً، فإنه ألطف من قولنا: زرنا غداً.
4. تنبيه المخاطب على وجوب الامتثال، يقول الزمخشري في التعليق على أسلوب الخبر (تؤمنون وتجاهدون) المراد به الطلب في الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [5]: " للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين " [6].
5. تأكيد الطلب وإشعار المخاطب بالمسارعة في التنفيذ، يقول الزركشي: " وهذا النوع فيه تأكيد، وهو مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق الذي لابد من وقوعه، واذا شبهه بالخبر الماضي كان آكد " [7] . ويقول في موضع

(1) مفتاح العلوم: 154 .
(2) الطراز 293/3 .
(3) نفسه: 294/3 .
(4) ينظر، مفتاح العلوم: 154-155 ؛ الإيضاح: 146/1-147 ؛ شروح التلخيص: 338/2-340 .
(5) الصف / 10، 11 .
(6) الكشاف: 100/4 ؛ وينظر: 365/1 .
(7) البرهان 289/2-290 .

آخر: " انما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته، وانه مما ينبغي ان يكون واقعاً ولابد " [1].

والذي يدل على ان الخبر يحمل معنى الطلب سياق الكلام ومقتضيات الأحوال، ويقول الزركشي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [2]: " ان السياق يدل على ان الله تعالى أمر بذلك ؛ لا انه خبر، وإلا لزم الخلف في الخبر " [3] .

## خطاب الطلب بصيغة الخبر في الحديث الشريف

ومن استقراء الأحاديث الشريفة تبين ان هناك تراكيب خبرية تنطوي دلالتها على الطلب. وأكثر ما ورد ذلك في معرض الدعاء، تأدباً مع المولى – عز وجل – وثقة بالاستجابة وقوة الرجاء في حصول الطلب، فكأن الدعاء قد أجيب فأخبر رسول الله عنه. من ذلك قوله ﷺ:

" رحمَ اللهُ موسى، لقد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصَبر " [4] .

(1) نفسه: 349/3 .
(2) البقرة / 228 .
(3) البرهان: 320/2 .
(4) فتح الباري: 583/10 .

" أسلَمُ سالمها الله، وغِفارُ غَفَرَ اللهُ لها " [1] .
" لَعنَ اللهُ الواصِلةَ والمسْتَوْصِلة " [2].
" لعنَ اللهُ السارقَ 000 " [3] [4].

وقد ترد صيغة الخبر أحياناً في الحديث الشريف، ولكن لا يراد بها الدعاء، وانما دلالة الأمر الحقيقي من الوجوب والإلزام او إحدى معانيه الثانية كالتأديب والإرشاد وغيرها.

فمن الأول قوله ﷺ في إفطار الصائم :

" إذا أقْبلَ الليل من هاهنا، وأدْبَرَ النهارُ من ها هنا، وغَربتِ الشمسُ، فقد أفطَرَ الصائمُ " [5] .

ومن الثاني قوله ﷺ:

" يُسَلِّمُ الصغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ "[6] .

وقال ﷺ عندما سأله رجل: أَيُّ الإسلام خيرٌ؟

" تُطْعِمُ الطّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِف " [7] .

فالجمل الفعلية (فقد افطر الصائم) في الحديث الأول و(يسلم الصغير على الكبير) و (تطعم الطعام، وتقرأ السلام) في الحديثين الثاني والثالث خبرية في بنائها التركيبي، ولكنها في دلالتها تحمل معنى الأمر. وعدل عن صريح الأمر الى الخبر لما لهذا الأسلوب من توكيد وإشعار بأن هذه الأوامر قد تحققت.

كما لا يخفى ما لهذا الأسلوب من ترفق وتلطف ولين في التعامل بحيث لا يشعر معه المخاطب بشعور المأمور، وهذا يعمل على استمالته الى الأمر الذي يوجه اليه وتحبيبه به فتتحقق سرعة الامتثال ومن ثم التنفيذ، وهذا هو هدف الكلام ومراده، يقول احد الباحثين: " ربما تظهر سرعة الامتثال في الفعل المضارع دون الأمر، باعتبار ان المضارع يدل على الحال بخلاف الأمر فإنه يدل على الاستقبال ومن ثم تتحقق سرعة الامتثال في التعبير بالجملة الخبرية بدلاً من الجملة الإنشائية " [8].

---

(1) نفسه: 672/6 . واسلم وغفار قبليتان كانت لهما قوة ومكانة في الجاهلية، وخصهما رسول الله بهذا الدعاء لأن غفاراً اسلموا قديماً، واسلم سالموا النبي . فتح الباري: 626/2 .
(2) نفسه: 457/10 . والواصلة التي تصل شعورها بشعر آخر زور، والمستوصلة التي تأمر من يفعل بها ذلك . النهاية: 192/5 .
(3) نفسه: 96/12 .
(4) وللاستزادة ينظر، فتح الباري: 340/2 ؛ 257/3، 334 ؛ 55/5، 456؛ 101/6، 512 ؛ 21/7 ؛ 164/9، 641 ؛ 741/10 ؛ 164/11، 232، 269 .
(5) نفسه: 245/4 .
(6) نفسه: 18/11 .
(7) نفسه: 76/1 .
(8) فن البلاغة، د. عبد القادر حسين: 269 .

ومثل هذا التعبير يرد في أحاديث أخرى[1] يرفدها بدلالات ومعان تتساوق لتحقق الغرض الذي تنشده من الفائدة والإقناع والتأثير.

(1) ينظر، فتح الباري: 142/1 ؛ 185/5 ؛ 415/6 ؛ 762/9 ؛ 407/13 .